

النبي الأمى

استكمالا للمقال السابق "حنيفا مسلما"

قال تعالى: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين"
إن كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت رسالتهم واحدة وهى الإيمان بالله وعدم الشرك به
والعدل والإحسان وفعل الخير والبعد عن الشر
ولكن يوجد وجه خاص للتشابه بين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام
ولمعرفة ذلك سوف أتناول معنى كلمة "أمى"

فالمعنى المعجمى أو الحرفى أو الظاهرى لهذه الكلمة هو عدم معرفة القراءة والكتابة
ولكن معنى هذه الكلمة فى آيات القرآن الكريم هو عدم العلم بالكتب السماوية السابقة مثل التوراة
والإنجيل

أو عدم معرفة قراءة وكتابة الكتب السماوية السابقة

أو عدم معرفة القراءة والكتابة باللغات التى كتب بها الكتب السماوية السابقة وهى لغات غير عربية
فكلمة "الأميين" هى مضاد لكلمة "أهل الكتاب" أو "الذين أوتوا الكتاب"

فأهل الكتاب هم الذين لديهم علم بالتوراة والإنجيل

قال تعالى: "قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمتم"

ومن هنا يتضح بشدة المعنى الذى ذكرته لأن دعوة الإسلام لكل الناس وليس فقط لليهود والنصارى
ومن لا يعرف القراءة والكتابة

وقال تعالى: "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون"

ولكن أليس القرآن كتابا سماويا؟ قال تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه"

فلماذا لا يسمى المسلمون بأهل الكتاب أيضا؟

فى الحقيقة إنه يمكن أن يسمى المسلمون بذلك بالتأكيد، ولكن كلمة "أهل الكتاب" أو "الذين أوتوا
الكتاب" فى القرآن معناها اليهود والنصارى

وهذا يتضح من سياق القرآن الكريم وليس من المعنى الحرفى أو الظاهر للكلمة

وهذه ملاحظة مهمة لأن كل التحذيرات والنصائح التي وجهت لليهود والنصارى فى القرآن الكريم يجب على المسلمين الانتفاع بها أيضا لأنه بعد نزول القرآن الكريم صار المسلمون أهل كتاب أيضا وإلا سيقع المسلمون فى نفس الأخطاء التي وقع فيها كثير من أهل الكتب السماوية السابقة ولكن ما علاقة كون الرسول محمد عليه الصلاة والسلام أميًّا، أى أنه ليس لديه علم بالتوراة والإنجيل وباللغة التي كتبها

بالتشابه بينه وبين إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟

قال تعالى: "هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم"

وقال تعالى: "فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون"

وقال تعالى: "الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل"

وكون الرسول محمد أميًّا له معنى وأهمية سوف أذكرها فى المقال القادم

وأما المعنى الذى أتناوله الآن هو التشابه مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام

فقبل أن يبعث الله إبراهيم نبيا ورسولا، كان قومه يعبدون الأصنام، ولم يكن عنده علم بالكتب السماوية السابقة

ولذلك يمكن أن يوصف أنه أمى

ثم مال عن ما يفعله قومه ورفض عبادة الأصنام وعرف الله وعبده بناء على فطرته السليمة التي خلقها الله فى كل إنسان

ولذلك يمكن أن يوصف أنه حنيف

وبعد كل ذلك اصطفاه الله وجعله نبيا ورسولا وأنزل عليه الوحي

وكل ذلك حدث مع محمد عليه الصلاة والسلام

ولذلك يمكن وصفه أنه أمى وأنه حنيف أيضا

ولكن لا يمكن وصف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بذلك

وهذا ليس انتقاصا من قدرهما على الإطلاق

ولكنهما كانا من بنى إسرائيل فكان عندهما علم بالكتب السماوية السابقة لهما

وكان قومه يعبدون الله

قال تعالى: "يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين"

فالآية الأخيرة قد تكون واضحة الآن، ولكن الآيات التى قبلها تثير تساؤلات وألغازا جديدة

لقد قال الله تعالى: "إن الذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

فاليهودية والنصرانية ليست ذمّا أو عيبا فى حد ذاتها

فاليهود هم الذين هادوا إلى الله أى تابوا ورجعوا، قال تعالى: "واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك"

والذى يظن أنهم سُموا بذلك نسبة إلى شخص اسمه يهوذا فهو واهم، لأن الله وصفهم فى القرآن بقوله "الذين هادوا"

وأما النصارى فهم الذين نصرروا المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: "فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا به واشهد بأنا مسلمون"

فلماذا قال الله تعالى: "ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين"

وهنا أظن أنه عندما يأتى ذكر اليهود والنصارى فى سياق الذمّ فى القرآن الكريم

يكون المقصود بعض اليهود والنصارى الذين ارتكبوا أخطاء جسيمة، مثل قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون"

وهنا قد تكون هذه المسألة قد اتضحت، إلا أن هناك لغزا آخر أكثر صعوبة فى قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون"

أولا إن القرآن الكريم نزل بعد كل ذلك

ثانيا إن التوراة والإنجيل هما كلام الله الذى أتى يؤكد على نفس الرسالة الإلهية

وإذا كنت قد قلت إن الله قصد باليهود والنصارى الفريق الذى ارتكب أخطاء جسيمة

فلا يمكن قول ذلك بكل تأكيد على التوراة والإنجيل اللذين هما كلام الله

إذ لا يمكن للتوراة والإنجيل أن يؤثرا سلبا على اليهود والنصارى فينحرفوا عن منهج إبراهيم!

فقد قال الله تعالى: "وأزلنا التوراة فيها هدى ونور"

وقال تعالى: "وأتينا الإنجيل فيه هدى ونور"

وقال تعالى: "وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين"

وللمقال بقية بمشيئة الله فى مقال آخر بعنوان "هدى للمتقين" لمحاولة حل هذا اللغز الأخير

والله تعالى أعلم.

أمين علام 9 يوليو 2020